الفصل السابع

انقلاب الثامن عشر من تشرين الثاني في ١٩٦٣

لم تمرّ عشرة أشهر على إنقلاب الثامن من شباط ١٩٦٣ حتى اشتدّ الخلاف بين عناصر الجيش والحرس القومي وبين البعث والناصريين. فقام البعثيون بالسيطرة على الوضع وألقوا القبض على نخبة من الضباط الناصريين وزجّوهم في المعتقلات في حين قضوا على بعضهم نتيجة التعذيب بحجة إعتزامهم القيام بإنقلاب ضد البعث. بقي الوضع على هذه الحال حتى نجم الصراع بين جناحي البعث وختم بإنقلاب بعثي جديد. ففي أثناء إنعقاد المؤتمر القطري السادس في بغداد نشأ خلاف حادّ بين ما عُرف في حينه بـ(بعث اليمين) وبين ما عُرف بـ(بعث اليسار) والأخير منهما كان بقيادة علي صالح السعدي والأول بقيادة أحمد حسن البكر وصالح مهدي عمّاش.

في يوم ١٨ تشرين الثاني نشب قتال دموي بين البعثيين أنفسهم.

كان الرأي العام العراقي قد ضجّ من حكم البعثيين وأدركه القرف من ممارساتهم وجرائمهم. وبدت الفرصة سانحة لتدخّل الجيش فإنتهزها (عبدالسلام) بمساندة الجيش وكبار ضباطه وسائر قواد الفرق ومدير الحركات صبحي عبدالحميد وقائد القوة الجوية حردان عبدالغفار التكريتي. ونشب القتال في شوارع بغداد بين قوات الجيش والحرس القومي وراح عبدالسلام يصطادهم فرداً فرداً.

كان همّ الفريق المنتصر في هذه المعركة إقامة صرح الدولة المتقوض والإهتمام بحلّ المشاكل العظيمة التي نجمت عن فوضى الحكم البعثي. ومع هذا كانت قوات الحكومة تحاول القيام بعمليات متفرقة محدودة في الجبهة لم تحظَ واحدة منها بنجاح. وفي

منطقة بالَك قام البارزاني بتفقد أحوال القرى صعوداً حتى حاجي عمران. وفي صباح يوم ٢٣ تشرين الثاني ١٩٦٣ الباكر ونحن نترك (زيني شيخي) للتوجّه إلى حاجي عمران أقدمتُ على فتح الراديو على صوت المطرب محمد عارف جزراوي فإذا بي أسمع نبأ إغتيال الرئيس الأمريكي جون كندي فأسرعتُ إلى الوالد وأنبأته بما سمعت فأبدى أسفه، وقال لا منجي من الموت ورئيس الولايات المتحدة ليس بمستثنى. وليلتئذ طلب الوالد السيد أحمد توفيق سكرتير عام الحزب الديمقراطي الكُردستاني- إيران وسلَّمه برقية تعزية لمصرع الرئيس الأمريكي وشدد عليه بإيصالها إلى السفارة الأمريكية بطهران.

النظام الجديد يطلب الحوار مع الثورة

عام ١٩٦٣ كان عام تجارب ثمينة لكلّ الأطراف، منها أنه ثبت لحكام بغداد بأن القضاء على الثورة بإستخدام القوة غير ممكن، وان قضية الشعب الكُردي لاتحلّ بالقتال، وان التفاهم والتفاوض هو السبيل الوحيد. كما ثبت للشعب الكُردي كافة بأن الثورة باقية وأركانها وطيدة ولا سبيل إلى إخمادها بأي صورة وان دوام القتال هو كارثة تلحق بالشعبَيْن معاً. ولكن كان من الضروري من ناحية أخرى أن تلتقط الثورة أنفاسها بفترة راحة وهدوءٍ تنفقها في إعادة تنظيم قواتها ورص صفوفها. وأن يتاح للشعب الكُردي فترة هدوء يلتقط فيها أنفاسه ويداوي جراحه ويتدارك وضعه الإقتصادي الذي أضرّت به الحرب بوسائل دمارها. وهكذا ففي بداية شهر كانون الأول من العام نفسه قدم إلى البارزاني كلٌّ من نوري شاويس وجلال الطالباني ومكثا في معيّته ثم رافقاه إلى رانيه.

في يوم ١٦ كانون الأول قدم الى البارزاني السيد [إسكندر] الأرمني وهو واحدٌ من أعزّ أصدقائه وله عنده مكانة، كان (اسكندر) صيدلانياً في السليمانية عندما كان البارزاني في العام ١٩٤٣ في السليمانية مبعداً وهو في عين الوقت من خلصاء الشيخ بابا علي الشيخ محمود وهما شريكان في أعمال تجارية.

وصل (اسكندر) الى گلاله واجتمع بالبارزاني في قرية ناوكيلَكان. وسلم له رسالة

من (بابا علي) تفيد بأن الحكومة ترحب بإجراء حوار معه[1].

تداول البارزاني مع نوري شاويس وجلال الطالباني والعقيد عبدالكافي. ونظمت إجابة على رسالة الشيخ بخطّ نوري شاويس. ومما جاء فيها "نحن على إستعداد للبدء بالحوار وإستقبال وفدٍ حكومي في منطقة رانيه. لو شاء الوفد المجيء.[2]"

وبالفعل توجهنا إلى دوله رَقه، ونزلنا ضيوفاً على عباس مامَنْد، وبقينا حتى ٣ من

١- نص الرسالة:
١٩٦٣/١٢/٢١
أخي الحبيب حضرة ملا مصطفى المحترم
تمنياتي القلبية لكم بالصحة والسعادة داعياً من الله الموفقية الدائمة لكم.
بعد التطورات الأخيرة في السياسة العراقية، سنحت لنا فرصة أكبر لحل مشاكلنا بطرق سلمية، ولهذا السبب أرسل رئيس الوزراء في طلبي وبعد مناقشات مستفيضة في هذا الإتجاه إلتقيت برئيس الجمهورية ايضاً، وقد أظهر الإثنان إستعدادهما الكامل للحل السلمي وقد كلفاني بإبلاغ سيادتكم بهذا.
وقد أردت الإفادة من هذه الفرصة للقاء بكم شخصياً، لكن سوء صحتي لم يسمح لي بذلك للأسف فكلفت الأخ إسكندر وقد قبل تولي المهمة مسروراً وإن شاء الله سيلتقيكم على الخير. فإسكندر كما نعرفه جميعاً لايدفعه الى تنفيذ هذه المهمة وتحمل مشاق السفر الطويل في هذا الجو البارد سوى مشاعره الأخوية وحبه للوطن وقد أبلغته ايضاً عن الأوضاع هنا.
وأودّ أن أضيف بأنه منذ لقائنا في الربيع في (سەروچاوه) وحتى الآن لم يحدث أي تطور، لهذا ولأسباب أخرى أرجو أن تظل، كما كنت في السابق، مصراً على أن المصلحة القومية لكُرد العراق تتطلب التساهل في هذا الإتجاه.
أدعو الله أن يديمكم لأخيكم ولكل الكُرد، وأرجو إبلاغ الأهل والأخوة الأعزاء فائق إحترامي
أخوك الصغير
بابا علي
هذا وتجد صورة للرسالة في الملحق رقم (١٦) قسم الملاحق.

٢- نص الرسالة:
١٩٦٣/١٢/٢٦
أخي الشيخ بابا علي المحترم
تحية حارة
آمل أن تكونوا بصحة جيدة وسعادة دائمة. وصلتني رسالتكم المؤرخة في ١٩٦٣/١٢/٢١، وكما تعرفون فنحن كنا دائماً ضد سفك الدماء والحرب، ودائماً كنا نأمل أن نضع حداً لهذه الحرب والوضع غير الإعتيادي، لذا وفي ضوء هذه الحقيقة عقدنا إجتماعاً مع كل أصدقائنا، وبهذه الروحية أيضاً نعلن إستعدادنا لإجراء المفاوضات مع الوفد الرسمي الحكومي. نحن على إستعداد للبدء بالحوار وإستقبال وفدٍ حكومي في منطقة رانيه. لو شاء الوفد المجيء. وبغية وصول الوفد الحكومي بسلامة، نرجو تبليغ أصدقائنا في رانية بموعد مجيئهم، لكي نسهل عملية وصولهم إلينا.
أكرر تحياتي وإحترامي مع تمنياتي لكم بالنجاح =

كانون الثاني ١٩٦٤ ثمّ انطلقنا الى (سَنْگسَر) وهنا أكّد النظام طلبه عن طريق العميد عبدالعزيز حميد الچلبي آمر قوة فائز.

طلبت الرسالة أن يتوجه وفد كردي إلى بغداد، إذ ليس هناك أيّ موجب لقيام وفد حكومي بالذهاب إلى منطقة تحت سيطرة الثورة بأيّ شكل من الأشكال. ومما جاء في إجابتنا على رسالة عبدالعزيز الچلبي: "نحن لسنا مستعدين لإرسال أي وفد إليكم. فآخر وفد أرسلناه زججتم بأعضائه في السجون وهم مازالوا فيه - بينما هم في مقام ضيوف فخر، فخرقتم بذلك الأعراف الدولية وكلّ الواجبات التي يحتمها حسن الضيافة. وفي الحديث النبوي الشريف "لايُلدغ المؤمن من جحر مرتين." ونحن مع هذا نعدكم أن يُستقبل وفدكم بكلّ ما يحتمه واجب الضيافة والخلق الرفيع خلافاً لما آل إليه مصير وفدنا". ويغلب على ظنّي أنّ كاتبها العقيد الركن عبدالكافي النبوي.

وفي يوم ١٩ كانون الثاني عقد إجتماع في منزل محمد أمين آغا بقرية گربداغ. حضره كل أعضاء المكتب السياسي وقادة جيش الثورة وكل رؤساء العشائر المتواجدين وفيه نوقشت المطالب التي ستطرح على الوفد الحكومي عند وصوله.

وأنبيء البارزاني ببرقية من الفرقة الثانية تسلّمها لاسلكي مقره في يوم ٢٨ كانون الثاني بأن وفداً حكومياً سيصل إلى رانيه بالطائرة المروحية في يوم ٣٠ منه.

وصول الوفد إلى رانيه

وصل البارزاني رانيه في اليوم المعيَّن لإستقبال الوفد الحكومي وعيّن مكان الإجتماع في منزل حسن كانبي. قصد جلال الطالباني وآخرون إلى الموقع الذي ستحطّ فيه طائرة الوفد الذي وصل في العاشرة صباحاً وفوجيء الجميع مفاجأة تامة حينما شاهدوا الشيخ أحمد البارزاني يخرج من الطائرة. فهرع جلال الطالباني مسرعاً للبارزاني ليبشره بمجيء أخيه فنهض البارزاني وهرع لإستقباله بنفسه. كانت رؤية الشيخ أحمد بالنسبة إلينا هدية نادرة لاتقوَّم بثمن. وقد تبيّن أنّ عبدالسلام محمد عارف أرسل قرآناً مع

=ملاحظة: وصلتنا كل التوصيات التي بعثتموها مع السيد إسكندر وتفهمناها.

أخوكم
بارزاني مصطفى

رسولٍ إلى الشيخ أحمد يرجو منه أن يكون بصحبة الوفد المتوجه إلى رانيه.

ان حرص عبدالسلام على أن يكون الشيخ أحمد مع الوفد متأتٍ مما سمعه من متواتر القول بأن البارزاني لايعصي أمراً للشيخ على الإطلاق، وهي الحقيقة بعينها. وكان عبدالسلام يأمل أن يقوم الشيخ بالضغط على أخيه لقبول مطالب معيّنة لكنّ كلّ ما ظفر به من الشيخ أحمد في هذا المقام قوله "الصلح سيد الأحكام وانتم أدرى بما تفعلون".

السبب الثاني لإيفاده مع الوفد هو انه كان يسيء الظن بالبارزاني ويجهل أخلاقه. وكان يعتقد أن البارزاني سيقبض على أعضاء الوفد ويحتجزهم لديه حتى تتم مبادلتهم بأعضاء الوفد الكُردي نزيل السجن في بغداد وأنّ وجود الشيخ أحمد سيردعه عن هذه العملية.

وهذا شأن من يرى الآخرين بمرآة نفسه - فالسارق يحسب الناس كلهم سرّاقاً. والكذاب لايشخّص في وعود غيره إلاّ الكذب وعلى هذا فَقِسْ.

كان رئيس الوفد الحكومي العميد عبدالرزاق سيد محمود محافظ السليمانية[٣]. وقد تبيّن أن عبدالسلام منح العميد مطلق الصلاحيات وأوصاه أن يبذل كلّ الجهود للوصول إلى إتفاق مهما كلّف الأمر.

استمرّت المحادثات حتى العاشر من شهر شباط ١٩٦٤ وهو يوم التوقيع على الإتفاق. وتوجه الوفد الحكومي مرتين الى بغداد الأولى في الخامس منه والثانية في السابع منه. في الواقع لم يكن الطرف الحكومي ينوي من الإتفاق وضع حدٍّ للنزاع وإنما كان يريد كسب الوقت كالعادة. ولم يخفَ عن البارزاني هذا، إلاّ أنّ كردستان كانت هي الأخرى في حاجة ماسة الى هدنةٍ بعد القتال الضاري الذي استغرق العام الفائت والأضرار الجسيمة التي لحقت بالمواطنين خلال ذلك ولاسيّما من الناحية الإقتصادية كما كان الأمل بأن يتضمن الإتفاق تعويض المتضررين ولاسيّما أولئك الفلاحين الذين غمرت مياه سدّي دَربَنديخان ودوكان أراضيهم وأتلفتْ مزروعاتهم. كانت حكومة قاسم قد

٣- ضم الوفد الحكومي أيضاً كلاً من العميد عبدالعزيز چلبي قائد قوة فائز. والعقيد سالم قائد موقع السليمانية. فيما تألف الوفد الكردي من نوري صديق شاويس، وجلال الطالباني، والعقيد عبدالكافي النبوي، ومسعود محمد، وعباس مامَند آغا. ورسم أن يستشير الوفد بعض رؤساء العشائر الحاضرين.

وعدت بالتعويض إلاّ أنّ نشوب الثورة والقتال حالا دون تنفيذ ذلك. لم يتدخل البارزاني في صياغة الإتفاق لأنه لم يكن بالأصل يثق بوعود الحكومة. وقد شارك في صياغته الأربعة المذكورون: نوري، وجلال، ومسعود، وعبدالكافي.

وجاؤوا بالبيان للبارزاني فوقّعه بصيغته النهائية في العاشر من شباط إذ كان قد نشب خلاف كبير حول فقرة واحدة من الفقرات تتعلّق بالصيغة التي سيثبت بها الكيان الكُردي في الدستور المؤقت الذي سيُصاغ.

وكان عبدالسلام وسائر أعضاء حكومته يصرون على ان تكون الصيغة بالشكل الآتي:

«تقرّ الدولة بحقوق المواطنة للأكراد»

في حين أصرّ الوفد الكُردي بتأييد من البارزاني على رفض تلك الصيغة ووجوب إستبدالها بالصيغة التالية:

«تقر الدولة بالحقوق القومية للأكراد»

وطالت المناقشة في الأمر ولم يقطع الوفد الحكومي برأيٍ وقفل الى بغداد في ٧ شباط ١٩٦٤، ثم عاد ومعه الموافقة على الصيغة التي إقترحها الوفد الكُردي ولهذا السبب تأخر التوقيع على إتفاق الهدنة حتى العاشر من شباط.

على أثر التوقيع ووقف إطلاق النار وإعلان الهدنة[٤]. بعث جمال عبدالناصر عن طريق المهندس شوكت عقراوي برسالة يعرب فيها عن إرتياحه للنتيجة.

تحسنت الأوضاع في كردستان بعد الهدنة كثيراً وقامت الحكومة فعلاً بدفع

٤- نص بيان الحكومة العراقية:

بسم الله الرحمن الرحيم

بناءً على مقتضيات المصلحة العامة، ولإستجابة إخواننا الأكراد لما جاء في نداء الملا مصطفى البارزاني ورغبة منا في إعادة الحياة الطبيعية الى الجزء الشمالي من وطننا الحبيب ووضع حدٍّ لمحاولات الإستعمار وأذنابه وقطع دابر المستغلين والمتصيِّدين وحقناً للدماء البريئة، وبناءً على ما تمليه علينا مصلحة الوطن العليا قررنا ما يلي:

أولاً- إقرار الحقوق القومية لإخواننا الأكراد ضمن الشعب العراقي في وحدة وطنية واحدة متآخية وتثبيت ذلك في الدستور المؤقت.

ثانياً- إطلاق سراح المعتقلين والمحتجزين والمحكومين بسبب حوادث الشمال، وإصدار العفو العام ورفع الحجز عن الأموال المنقولة وغير المنقولة عن الأشخاص الذين سبق أن حجزت أموالهم.

ثالثاً- إعادة الإدارات المحلية الى المناطق الشمالية.

رابعاً- إعادة الموظفين والمستخدمين. =

التعويضات لفلاحي ومزارعي الأراضي التي غمرتها مياه سدّي دَربَنديخان ودوكان. وتنفست كردستان الصعداء الى حين من الزمن. واخلدت الى راحةٍ هي في أمسّ الحاجة اليها. وتمّ إطلاق سراح المعتقلين من الجانبين وأُخلي سبيل أعضاء الوفد الكُردي فوصلوا (سَنْگَسَر) في ١٦ شباط ١٩٦٤ وهم صالح اليوسفي وشاخَوان شوان وعبدالحسين فَيلي وعگيد صديق ومصطفى عزيز.

زيارات حكومية للبارزاني

قدم الى رانيه عدد كبير من المسؤولين الحكوميين للقاء مع البارزاني بعد إتفاق شباط. كما تقاطر عدد كبير من الصحفيين من عراقيين وعرب وأجانب الى منطقة الثورة.

= خامساً- رفع القيود المفروضة على تسويق المواد المعاشية على إختلافها.
سادساً- الشروع بإعادة تعمير المنطقة الشمالية فوراً وتشكيل اللجان المختلفة لتذليل الصعوبات التي تعترضها حول التقيُّد بالأعمال الروتينية مع ملاحظة تعويض المتضررين.
سابعاً- تعويض أصحاب الأراضي الذين غمرت أراضيهم من جراء سدّي بوخان وزربنجخان (دوكان ودربنديخان) تعويضاً عادلاً.
ثامناً- تتخذ التدابير بما يضمن إعادة الأمن وإستقرار المنطقة الشمالية وإننا نهيب بإخواننا الأكراد العودة الى الحياة الطبيعية لينعموا ببركات هذا البلد وتوحيد الصف الوطني تجاه مؤامرات الإستعمار وأذنابه، وليعلم إخواننا الأكراد بأننا سنعمل على ما يضمن حقوقهم المشروعة شأن بقية المواطنين في الجمهورية العراقية والله من وراء القصد.
تاسعاً- على كافة الوزارات ذات العلاقة إصدار المراسيم والأوامر والتعليمات المقتضية تنفيذ ما جاء في هذا البيان.

التوقيع: عبدالسلام محمد عارف
رئيس الجمهورية

* بيان مصطفى البارزاني الجوابي:
تلبية لرغبة السيد رئيس الجمهورية المشير الركن عبدالسلام محمد عارف بالمحافظة على وحدة الصف الوطني وحقن الدماء البريئة وإنهاء إقتتال الأخوة، ولثبوت حسن النية عند السلطة الحاكمة، قررنا المبادرة الى إيقاف إطلاق النار والطلب الى إخواني العودة الى محلات سكناهم والإنصراف الى أعمالهم الحرة الكريمة وبهذا ينفسح المجال للسلطة الوطنية للمبادرة الى إتخاذ الخطوات الكفيلة بإعادة الحياة الطبيعية والأمن والإستقرار الى المنطقة وتتهيّأ الفرصة لإقرار الحقوق القومية للمواطنين الأكراد ضمن الشعب العراقي في وحدة وطنية واحدة وإرساء الأخوة العربية الكردية على أمتن القواعد بما يصونها من الوهن ويحصّنها من دسائس المستعمرين والمتصيّدين والطامعين وليعلم الجميع أن سيادة القانون وتأمين الأمن والنظام في المنطقة كفيل بحلّ كل معضلة مهما كانت مستعصية.
فليسدد الله خطى المخلصين ويكلل جهودهم بالنجاح فيما يريدونه للشعب والوطن من وحدة وسؤدد وإزدهار، والله وراء القصد.

التوقيع: البارزاني مصطفى

من الوفود الرسمية في ١١ آذار ١٩٦٤ قدوم وفد حكومي كبير[٥]. وبقدر ما تسعفني الذاكرة قدم هؤلاء لغرض إعادة الإدارات الحكومية في المنطقة وللتأكيد على جدّية النظام في تنفيذ بنود إتفاقيات شباط.

وفي اليوم الأول من أيار أقبل وفد آخر[٦] بغرض إسترداد الأسلحة الثقيلة التي غنمها البيشمرگه في قتال العام ١٩٦٣ وبالأخص المدفعين من عيار (٧٥ ملم) وقد ألحّ الوفدُ على البارزاني بشدة راجياً تسليمها ولم يتوصّل الى نتيجة.

وقدم في الثاني من حزيران طاهر يحيى، وهو آنذاك رئيس الوزارة، على رأس وفد كبير[٧]. قدموا الى رانيه واستقبلوا في (خَلَكان) وكان البارزاني في إستقبالهم[٨] وهو أكبر وأهم وفد زار كردستان الى حدّ تأريخه.

وصل الجميع الى رانيه وجرت مباحثات حتى الليل. وأجاز البارزاني إبراهيم أحمد في إدارة المحادثات عن جانب الثورة. وأكثر المناقشات كان يدور حول الدستور الموقت الذي نشر في ٤ من أيار ١٩٦٤ وكان بعيداً عن تطلعات الشعب الكُردي. وجاء ذلك دليلاً على عدم جدية الحكومة وانها لاتملك حلاً للمشكلة الكُردية. والواقع هو أنّ هؤلاء لاسيّما هادي خماس مدير الإستخبارات وصبحي عبدالحميد وزير الداخلية وهما من أقطاب القوميين لم يكونا يؤمنان بأي حق للكرد. ولو كان الأمر بيدهما لما ترددا عن إستئصال الشعب الكُردي، ربّما كان طاهر يحيى صادقاً ومتفهماً لكنه بدا قليل الحيلة ازاء موقف المذكوريْن مضطراً الى مجاراتهما أراد ذلك أم لم يُرد. أما محافظ السليمانية فقد بدا صادق النية في السعي الى إيجاد أرضية لحّل مشرِّف لأنه كان كما بدا لي يكره الحلَّ العسكري ولايريد الحرب وقد ناله من موقفه هذا تأنيبٌ من رفيقيه هذين مشوباً بالهزء والسخرية بعد كل تعليق يدلي به في هذا المجال. بلغ بهما الأمر أن

٥- تألف الوفد من: العميد رشيد مصلح وزير الداخلية واللواء عبدالرحمن عارف وكيل رئيس أركان الجيش وإبراهيم فيصل الأنصاري قائد الفرقة الثانية وسعيد قطان قائد الفرقة الرابعة وعبدالرزاق السيد محمود محافظ السليمانية.

٦- تألف من عبدالرحمن عارف وإبراهيم فيصل الأنصاري مع حاشية.

٧- ضمّ الوفد وزير الداخلية وقائد الفرقة الثانية ومدير الإستخبارات العسكرية هادي خماس ومحافظ السليمانية.

٨- وكان يرافقه إبراهيم أحمد وجلال الطالباني وبعض الرؤساء وشيوخ العشائر مثل كاكه حمه زياد وعباس آغا مامند وشيخ حسين بوسكيني وأنور بگ بيتواته.

إتهماه بأنه أصبح صنيعة للبارزاني وان البارزاني ما كسبه الى صفّه إلا برشوةٍ. وآل به الأمر الى الإستعفاء وطلب الإحالة الى التقاعد وترك منصبه عائداً الى بيته في الموصل.

تعهّد طاهر يحيى أخيراً بإجراء تعديل على الدستور ينُصُّ صراحةً على حقيقة تواجد الشعب الكُرديِّ وعلى حقوقه. إلاّ أنّه لم يَفِ بتعهده عند رجوعه وبقي الدستور المؤقت كما شُرِّع.